2 – سيميائيَّة شعريَّة النثر الصوفي عند الإمام الخُمَيْني « قُدِّسَ سِرُّهُ »

مصباح الهداية وشرحه لفصوص الحكم أنموذجاً

Poetic semiotics of Sufi prose according to Imam Khomeini، "May his secret be sanctified" Misbah al-Hidaya and his explanation of the chapters of wisdom as an example

بقلم الباحث: أزهر عبد علي حسن

جامعة أصفهان- كلية اللغات – قسم اللغة العربية وأدبها

Written by researcher: Azhar Abdel Ali Hassan

Isfahan University – Faculty of Languages ??- Department of Arabic Language and Literature

mm.azhar.a.h@gmail.com

تحت إشراف الأساتذة:

1- الأستاذ المشارك الدكتور سميه حسن عليان(الكاتبة المسؤولة)

2 – الأستاذ الدكتور سليم عبد الزهرة محسن الجصاني جامعة أصفهان- كلية اللغات/قسم اللغة العربية وأدبها جامعة الكوفة- كلية الفقه

saleema.mohsin@uokufa.edu.iqhasanalian@fgn.ui.ac.ir

تاريخ الاستلام: 2024/5/7 تاريخ القبول: 2024/5/21

الملخص العربي

إنَّ شعريَّة النثر الصوفي هي ذاتيَّة سرديَّة سيميائيَّة تجمعُ النثرَ إلى الشعرِ ضمن إطارٍ واحدٍ يُجسد في دلالته التعالُق في لغةِ الصوفيَّة بين السارِدِ الناثِرِ والسارِدِ الشاعِرِ في آنٍ واحدٍ، ومن ثمَّ فالنثر والنثر الصوفي في عمومِهما وخصوصِهما يجسدان سواء ما كان نثرًا خالصًا أو ما كان نثرًا صوفيًا شعريًا ذاتيَّة الناثِرِ الَّذي هو في أحيان كثيرةٍ شاعر كذلك، ولا شكَّ في أنَّ الإدراك المعرفي للحدودِ المُتمازجَة بين كلٍ من: النثرِ والنثرِ الصوفي والنثرِ الصوفي الشعرِي مما يصف المَتْن النثريَّ سيميائيًا ويبين سيميائياتهِ وتأويلاتها وشرح الإمام الخُمَيْني لِفُصوص الحِكَم وشعريَّة نثره الصوفي العرفاني هو جزءٌ لا بدَّ من تحليلهِ وتأويله لفهم أوسع وأشمل للنثريَّة الشعريَّة في سيميائياتِهِ في شرحه ونصوصه على ما سيتبين.

الكلمات المفتاحية: السيميائية، الشعرية، النثر الصوفي، الامام الخميني «قدس سره»، مصباح الهداية، فصوص الحكم.

Abstract:

Poetics of sufic prose is a semitic narrative subjectivity that combines prose into poetry within a single framework embodied in its connotation of the sufism language between the proser and the poet simultaneouslyHence، sufi prose and prose in general and in particular exemplifies whether it is pure prose or what was a poetic, subjective prose that is often also poetic. There is no doubt that cognitive perception of the mixed boundaries between: sufi prose and prose and sufi poetic prose, describing semiotically the prose، and showing its semiotics and its interpretations، and the explanations of imam khumaini to the wisdom cloves and the poetics of its sufic prose is a part that should be analysed and interpreted for a broader and more comprehensive understanding of the prose poetics in its Semiotics.

المقدمة:

إنَّ الإمامَ الخُمَيْني« قُدِّسَ سِرُّهُ » كان رجلًا يمتازُ بالجدَّة الحياتيَّةِ والجدَّةِ التجديديَّةِ والجدَّةِ العلميَّة والجدَّةِ السياسيَّةِ باعتبارهِ قبل وبعد وأثناء الثورة الإسْلاميَّة في إيران 1979م أحد أعمدة ولاية الأمرِ الشرعيّ عند معتقدِي إمامتهِ داخل وخارج الجمهوريَّةِ الإسْلاميَّةِ في إيران، وُلد آية الله السيد القائد: روح الله الموسوي الخُمَيْني، (1320 – 1409 هـ/1902 – 1989 م) الَّذيْ اشتهر بلقب **الإمام الخُمَيْني** يوم 24 سبتمبر/ أيلول 1902 بمدينة خمين في إيران، في بيتٍ عُرف بالتقوى والعلمِ والجهادِ والهجرةِ ومن أسرةٍ تنتسبُ إلى الصديقةِ فاطِمةَ الزهراء عليها السلام وعاصر أبوه آية الله السيد مصطفى الخُمَيْني اية الله الشيرازي واستشهد والده وله من العمر خمس سنوات في طريقه من خمين إلى اراك على يد قطَّاعِ الطرُق فتوجَّهت الأسْرةُ إلى طهران[1]

وبدأَ الإمامُ الخُمَيْني« قُدِّسَ سِرُّهُ » دراسةَ القرآنِ ومبادئِ الفقهِ الشيعي وهوَ في السادسةِ من عمرهِ، واهتمَّ بالدراساتِ الدينيَّة وارتيادِ الحوزاتِ العلميَّةِ، فانتقلَ إلى آراك ليدرس في حوزتِها الفقهَ الإسلاميَّ، ثم رحلَ إلى قم لطلب العلمِ الشرعِي، حيث نبغَ بين أقرانهِ وحصَلَ على مرتبةِ آيةِ الله. وكان مرْجعَ الأمَّةِ في عصرهِ« قُدِّسَ سِرُّهُ ». وبفضلِ ما كان يتمتع به من شخصيَّةٍ علميَّةٍ كان يتعمق إضافة إلى الفقه في الفلسفة الإسْلاميَّةِ وعندما كان مدرسًا لعلمِ الكلامِ بدأ بتدريسِ علم الأخلاقِ واجتمعَ حولَه نخبةُ الشبابِ المعتقدينَ بوجهتهِ الشرعيَّةِ والسياسيَّةِ ومبادئهِ من أصحابِ المواهبِ والمعنويَّاتِ العاليَةِ[2]ولقد اعتمدنا في هذا البحثِ منهج التحليل النظمِي لتوصيفِ السيميائية الشعرية ودلالاتِها في كتابَيْ الإمام الخُمَيْني « قُدِّسَ سِرُّهُ»، وقد جاء في مباحث ثلاثة كما سيأتي.

المبحث الأوَّل:

السيميائية والشعرية

السيميائية، السيمولوجيا، السميوطيقا، السيمياء، علم العلامات، علم الإشارات، علم الأدلَّة، يصعُب تحديدُ مفهومٍ جامعٍ لهذا العلمِ، ذلكَ أنَّه واسعٌ وشاملٌ «فالمجال

1 ينظر: الإمام الخُمَيْني حياته العلمية والسياسية، لجنة التاليف،، ط1، مركز الهدى، النجف، 2011، ص 14_15.
2 ينظر:، إيران الأحزاب والشخصيات السياسية 1890_2013' كسرائي، شاكر، ط1، دار رياض الريس، لندن، 2014، ص 192_193.

السيميولوجي لا يزال الناس فيه بين أخذٍ وردٍ بسبب أنَّه لم يحدد بعد، والمُتفق عليه عند الدارسين أنَّ أصلَ اللفظ –كما صرَّح بذلك **سوسير**–مأخوذ من الجذرِ اليوناني (سيميون/) والَّذيْ يعني الإشارة أو العلامَة، وهو لفظٌ اصطنعهُ **أفلاطون** ليرادفَ لديه العلامة اللسانيَّة استناداً إلى تشابه العلامَات في الحقلِ وقد ارتبطَ هذا اللفظ طبيًا في مدرسة **أبقراط** بـ(تيكميريون/) الَّذيْ يترجم عادة بِمعنى (عَرَض)، وهذا المُصطلحُ لم يفارق الحقل الطبي طوال تاريخِهِ.

أمَّا منَ الناحيةِ الاصطلاحيَّةِ فتعددت تعريفاتُ السيميائيَّةِ بناء على الرؤيةِ المعرفيَّةِ الَّتي يتبناها المعرّف؛ لأنَّنا بإزاء سيمائيات مُتكاثرة على مرِّ العصورِ؛ حتى ليصدق أنْ يكونَ كل مشتغل في الحقل قد منحه تعريفاً يتماشى مع منظورهِ الَّذيْ يرتضيه.

أمَّا شعريَّةُ النثرِ مُصطلحٌ يعني: النثر الَّذيْ يحملُ سماتَ الشعريَّةِ [1]. وتوصفُ بأنَّها عملٌ يضمّ بعض خصائصِ الشعرِ الغنائِي، أو جميعها إلّا أنَّها تتخذ شكلَ النثر [2].

إنَّ شعريَّةَ النثرِ في قصيدةِ النثْر ذاتَ شكْل قبل أيّ شيءٍ، ذات وحدة مُغلقة. أي دائرة، أو شِبهُ دائرةٍ، لا خط مُسْتقيم. أي مجموعةُ علائقُ تنظَّم في شبكةٍ كثيفة، ذات تقنيَّة مُحددة، وبناءٍ تركْيبيٍ مُوحَّد، مُنتظم الأجزاء، مُتوازن... أيْ أنَّ الوحدةٌ عضويَّةٌ، وكثافة، وتوترٌ، قبْل أنْ تكونَ جملاً، أو كلماتٍ[3]. وتوصيفُ شعريَّةُ النثرِ في تعريفها بأنَّها: تكثيفٌ لفظيٌ[4].

وقد تطورَ المصْطلحُ في الغربِ، بمعنى النثرِ الَّذيْ يحملُ سماتَ الشعريَّةِ، وأمَّا في الأدبِ العربي المُعاصِر فقد كانت أوّل دراسةٍ عن قصيدةِ النثرِ الَّتي تحمل شعريَّة النثرِ هي مقدمةُ أدونيس لديوان أنسي الحاج: لن[5].

حيث يرى أدونيس: إنَّ النثرَ الشعريَّ في شعريَّةِ النثرِ إطنابيٌ يسهب، بينما قصيدةُ النثرِ مركَّزة ومُختصرة، وليس هناك ما يقيد النثر الشعري مُسبقًا، أمَّا قصيدة النثر فهناك

1 ينظر: كتاب لن، انسي الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 1982 م، ص11.
2 ينظر: الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث: د سلمى الخضراء الجيوسي، ط2، مركز دراسات الوحدة، بيروت، 2000، ص691692 .
3 المصدر نفسه، ص8.
4 النار والجوهر دراسات في الشعر، جبرا إبراهيم جبرا، ط3، المؤسسة العربية، بيروت،1982م، ص 7.
5 ينظر: الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، انيس المقدسي، ط1، دار العلم للملايين،، بيروت، 1986 م، ص 117–116.

شكلٌ من الإيقاع، ونوع من تكرار بعض الصفات الشكليَّة، ثم إنَّ النثرَ الشعريَّ سرْديٌ وصْفيّ شرْحي، بينما قصيدة النثرِ في شعريَّة النثر إيحائية[1].

إنَّ شعريَّةَ النثرِ مفهُومٌ نقديٌ حديثٌ يتحدد بالتحولِ الممتزج بين الشعر المنثور والنثر ذي الشعريَّةِ المُتضمَنة فيه، حيث تسمَّى قصيدة النثر باسم: شعريَّة النثر. [2].

وفي شعريَّةِ النثرِ مُصْطلحًا ودلالة، يظلُّ النقاد يرجعون كلَّ مُصطلحٍ إلى أصُوله ونشأته، ويظل بحثهم شاملًا في أصوله في التاريخ وتتبع تطوراته واللغة ومدى احتكاكه مع اللغات والثقافات الأخرى، ثم مدى تطابقه على أدبيَّات اللغة الأم، وعلى هذا كانت الشعريَّة النثريَّة لها الأثرُ في النقاد، إلّا أنَّه لو تصفحنا كتاب أي دارس لوجدنا أنَّهم يقفون عند أرسطو، فيظل مفهوم الشعريَّة وشعريَّة النثر عائماً، هل كما وصفها أرسطو، أم أنَّه مجرد انْطلاقة عبر التاريخ، إلَّا أنَّ الجنين اكتمل في العصر الحديث وبعد انطلاق كمٍّ هائلٍ من الدراسات اللسانيّضة والشكْلانيَّة والتوليديَّة والتحويليَّة والسيميائيَّة للتضافر كلِّها في عصْرٍ باتَ الشكل عنصراً وليس أساساً، وكذلك المعنى أو المضمون. يمكن أنْ تكون البنيويَّة هي الأداة الَّتي نحتت الشعريَّة وصقلتْها بعد أنْ اهتم البنيويون بالمفردة من دراسات ومدى علاقتها ببنائها ومدى علاقتها ببناء الجملة، أيْ تلك العلاقة الرابطة الَّتي تشعُّ صوراً ومَعاني وتشتق لِبناء مَعْنًى آخر، لذا قاربتها الشعريَّة على أنَّها لا تهتم بالشيء دون الشيء الآخَر، وبالأدق فإنَّها تهتم بربطِ آليةِ الكمالياتِ الفنيَّةِ انطلاقاً ممَّا يعطيهِ الحرفُ من ديناميكيَّةٍ في الصوتِ كإيقاعٍ ومدى ارتباطه بالدفْع – الديالتيك – مع المفردةِ كصوتٍ واحدٍ يرمزُ لمعنى، أوْ يعطي معاني أخرى ترتبطُ بإيقاعاتِ الجملَةِ وتناسُقِها. الدلالة أخذَتْ ارتباطاً آخرَ كشف عن البحثِ المُضني، ليس لأنَّها أخرجَتْ إلَيْنا تصوراتٍ حول المفردة، بل لأنَّها ربطت المفاهيمَ بينَ الدالِّ والمَدْلُول، والربْطُ هذا الَّذيْ عنى بِمسافاتٍ راهِنة تتموقع بذاتِ الشِعريَّة الخارجَة من ظل كُلِّ الأحكام، والبعيدة عن كل النظم بالعُدول، أو الإنزياح، أو الخيال جعلت الشعريَّة _والشعريَّة النثريَّة _ تأخذ استقْلالاً ذاتياً في ذاتِها، حتى أعطت دلالاتٍ خاصَّةً بالحرْفِ عند ارتباطِهِ بالنبْر، أوْ المقطعِ ليعطِي معْنًى آخر وتوسع غير منضبط في الخيال[3].

1 ينظر: الثابت والمتحول (صدمة الحداثة)، أدونيس،، دار العودة، بيروت، 1978 م، ص209.

2 ينظر: حركة الحداثة في الشعر المعاصر،كمال خير بك، دار المشرق للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 1982 م، ص 9.

3 ينظر: شعرية النثر، علي كاظم وعدنان رجب، بحث، مجلة كلية واسط، عدد سبتمر 2018، ص1.

وأيًا ما يكن الأمر، فثمَّ عوامل في السيميائيَّةِ عديدةٍ مهَّدت من الناحيَةِ الشكْليَّة لقصيدةِ النثْر المُتحورة عن شعريَّة النثر في الشعر العربي القديم والحديث، وأسْهمت في نشوئِها. ولا يخفى أنّ ها هي جملة العوامل الَّتي رافقت حرَكات التحديثِ الشعْري في العالم العربي منذ أوائلِ القرْن. ومن هذه العوامل « التحرر من وحدة البيت والقافية، ونظام التفعيلة الخليلي، فهذا التحرر جعل البيت مرناً، وقربه إلى النثر. ومن هذه العناصر انعتاق اللغة العربيَّة وتحرُرِها، وضعف الشعْر التقليدي الموزون، وردود الفعل ضد القواعد الصارِمة، النهائيَّة، ونموُّ الروح الحديثة. ثم هناك التوراة والتراث الأدبي الكبير فِي مِصْر، وبلدان الهلال الخصيب على الأخصّ. ومن هذه العناصر ترجمة الشعر الغربي. والجدير بالمُلاحظَة هنا أنَّ الناسَ عندما يتقبلون هذه الترجمات، ويعتبرونها شعراً، رغم أنَّها بدون قافِية ولا وزْن. وهو ما يدلُّ على أنَّ في موضُوع القصيدةِ المُترجمَة، والغنائيَّة الَّتي تزخرُ فيها، وصورها، ووحدة الإنفعال، والنغَم، عناصر قادرة على توليد الصدمة الشعريَّة، دون حاجة إلى القافِية والوزن. ومن هذه العناصر النثر الشعري، ومن الناحيَة الشكليَّة الدرجة الأخيرة في السلَّم الَّذيْ أوصل الشعراء إلى قصيدة النثر" [1].

المبحث الثاني:

شعريَّةُ النثرِ عند الإمامِ الخُمَيْني

إنَّ الشعريَّة في النثرِ سيميائيًا على ما نجدها عند الإمام الخُمَيْني في تعليقاتٍ على شرْح فُصوص الحِكَم ترتبط ارتباطاً مباشراً بالبنية والتركيب وما يعطيه من أنساقٍ لغوية، أو أقرب إلى نبوءات لتلكَ المُفردة من أخْيلَةٍ تتعدّى الواقعَ، أو تدور حولَه، وتخلُق فجوةً، أو انزياحاً بعيداً عن أصل الكلمة، ربما ذلك بمعين آخر كالاستعارة أو التشبيه، في خلْق انزياحٍ يضع البِنيَة تبتعدُ عن أصلِها وإنْ كانت ثابتة للعيانِ أنَّها باكتمالِ المَعنى لا تدل على معناها الأصْلي، فالخدِ كالورد، تُعطي انطباعاً آخر بين مُتشابهَيْن، انزاح به فكرُ المُتلقي بعد انزياح كبيرٍ تنشقهُ المُتكلم وتعايشَ بسحرهِ بتصوراتِ ألوانٍ جميلةٍ تأخذُه بين الخدِ والوردِ هذا الانزياح هو الَّذيْ تتبناه الشعريَّة بأنْ تخلُق فجوةً أو مَسافة من التوتر جزءاً منه إرادي يعتاش فيه الإنسان وجزء يأخذه إلى عالم آخر من الخيال؛ ليخلق ويستجلب كل الورود ليُطابق مع الخد المرئي،أو كقول الإمام في شرحه: (الوجودُ

1 ينظر: شعرية النثر، ادونيس، مجلة شعر، بيروت، عدد 14،1988، ص 7.

أمَّا أنْ يتجلَّى بالوجود الغيبي الأحدي المُستهلك فيه كل الأسماءِ والصفاتِ... وأما الذات من حيث هي) [1].

فالشعريَّة في هذا النص النثري الشعري للغمام الَّذيْ تجاوز شعريَّة ابن عربي في الفصوص: تدلّ على مدى علاقةِ التركيب في فحوى النصّ، وعلاقة البِنيةِ مع ذاتِها ثم مع تناسُقِها مع النصّ، فهي لا تخصّ الشعرَ بذلك فحسب، وإنَّما تخص النثر وأنَّ كل كلامٍ يُقال هو دائرٌ تحت محكتها حتى تخرجه إمَّا أنَّه كلام عادي أو أنه كلامٌ فني يرقى إلى مستوى عالٍ من الأدب كقوله« قُدِّسَ سِرُّهُ »:(غيبٌ لا بمعنى الغيبِ الأحدي بل لا اسم لها ولا رسم ولا إشارة اليها ولا طمع لأحد فيها) . [2].

ففي نص الإمام هذا من خلال توصيف الوحدانيَّة تسعى الشعريَّة إلى ربط تركيب اللغة في أطروحاتِها مع العلاقة الَّتي تثير ذلك التركيب في المُتلقي من خلال وضع المحسُوسَات في النفس، مع الدلالات إنْ كانت لغويَّة أو نحويَّة أو بلاغيَّة[3].

وقوله: (نشيرُ إلى لمحة من مقام النبوَّة بطريق الإجمال، بل بالرمز والإرشاد في المقال) [4] يُجسّد رمزيَّة شعريَّة حسن الابتداء في مفتتحِ الكلماتِ الشعريَّة الصُوفيَّة العرفانيَّة والمعرفيَّة سيميائيًا حيث تتجسد وهكذا فشعريَّة النثر أنْ يكون في النثرِ جماليَّات تجعل من نص ما شعرًا[5].

والشعرُ النثري يتجسد في قوله: (مَصابيحُ نوريَّةٌ تشير إلى حقائقَ يقينيَّةٍ يستفاد مِنها معارف إيمانيَّة) [6]. في وصف أهل البيت عليهم السلام فهذا النص للإمام« قُدِّسَ سِرُّهُ » هو الشعر المكتُوب بالنثرِ سيميائيًا بدلاً من استخدام الشعر مع الحفاظ على الصفاتِ الشعريَّة مثل الصور الَّتي تشكّلُ تحديده« قُدِّسَ سِرُّهُ » لعوامل الرمزيَّة والسيميائيَّة وجوهر الفعل الكلاميَّ من خلال إدراك الصور البيانيَّة والبلاغيَّة والبديعيَّة المُشكّلَة للصورة الرمزيَّة. مما يمكن اعتباره في الأساس شعرًا، أو نثرًا عبارة عن جنس فنيٍ جيءَ به

1 ينظر: تعليقات على شرح فُصوص الحِكَم، ص14.
2 نفسه، ص15
3 ينظر: شعرية النثر، عدنان كريم رجب، أ.م.دالجامعة المستنصرية ـ كلية الآداب وهديل علي كاظم جامعة واسط ـ كلية التربية، مجلة كلية التربية، بغداد، مجلد 1، عدد 32 ، 2018، ص12
4 ينظر: مصباح الهداية، ص14
5 ينظر: السراب والنبع، مصلح النجار، ط1، المؤسسة العربية، بيروت، 2005، ص48
6 ينظر: مصباح الهداية، ص 15

لاستكشاف القيم الشعريَّة الموجودة في لغةِ النثرِ، ولغاياتٍ إيجاد مناخ مناسب للتعبير عن التجارب والمعاناة الَّتي واجهها الشاعرُ بتضمينهِ صوراً شعريَّة عريضَة تتسمُ بالكثافة والشفافيَّة معاً، وتكمن أهميتِها في حرصِها على تعويضِ الانعدام الوزني في القصائد التقليديّة.

ويمكننا القولُ إنّ قصيدة النثر هي ذلك الشكل الفنيّ الَّذيْ يسعى إلى التخلّص من قيود نظام العروض في الشعر العربيّ، والتحرّر من الالتزام بالقواعد الموروثة من القصائد التقليديّة، بالإضافة إلى ما تقدّم فقد عرفّها بعض الأدباء بأنّها عبارة عن نصّ تهجيني يمتاز بانفتاحه على الشعر والسرد والنثر الفني؛ ويتسم بافتقارهِ للبنيَة الصُوتيَّة الكميَّة ذات التنظيم؛ إلّا أنَّ له إيقاعاً داخلياً منفرداً بعدم انتظامه ويبرز ذلك بتوزيع علامات الترقيم والبنية الدلالية وفقاً لبنية التضّاد.[1]

وقد امتاز النثرُ الصوفي عند الإمام« قُدِّسَ سِرُّهُ » كما في قوله: (الاسم الأعظم حيث يكون برزخًا بين أحَدِيِ الغيْبِ في الأعيان الثابتةِ في الحَضْرة العليَّة) [2]، بأنَّه نثرٌ يحمل سماتَ الشاعريَّة والشعريَّة حتى وهو« قُدِّسَ سِرُّهُ » يسرِد عن طريق المعنى الخاصّ والعام ما كان قصة جامدة كقصص الكراماتِ أو المواعظ على سبيل المثال. وإنْ كان هناك نثر صوفي بارد جامد خاصَّة في شروحاتِ كتب الصوفيَّة فتفوق الإمام سيميائيًا في نثرهِ« قُدِّسَ سِرُّهُ » في تعليقات على شرْح فُصوص الحِكَم وهكذا: لَيْسَ كُلُّ النَّثرِ الصُّوفيِّ شِعريًّا ؛ فمِنْهُ نَثْرٌ يَسْرِدُ نظريَّاتِ التَّصوُّف، وَفَلْسَفَاتِه، وَأَشْكَالَ الأَحْوَالِ وَالمقَامَات، وَحَالاتِ الشَّطحِ وَالتَّرقِّي الصُّوفيِّ ؛ مُركِّزًا على رِسَالةِ التَّوصِيلِ ؛ بِإِيرَادِ المَعْنَى بِوضُوح، والتَّدليل عليْه، وَرَسْمِ النَّظريَّةِ وَالتَّأويْلِ [3].

فهناك وسط شعريَّة النثرِ نَثْرٌ صُوفِيٌّ آخَرٌ، _يتجسَّد عند الإمام الخُمَيْني« قُدِّسَ سِرُّهُ »_ في نصوص سرديَّة إبداعيَّة، تشدد على الرسالة الجماليَّة ؛ باشتغالها على مَادةِ اللغَة، وَإِعَادَةِ تَشْكِيلِهَا تَشْكِيْلاً خَاصًّا، وَيُشدِّدُ – هَذَا النَّثرُ – عَلى اللغَةِ كَدَالٍ ؛ لَهُ كِيانُهُ الفِيْزِيقِي وَالإِيقَاعِي، وَعَلى فِعْلِ الكِتَابة ؛ كَخَلْق فَنِّيٍّ وَتَأسِيْسٍ إِبْدَاعِيٍّ خَاص، مُعَادِل

1 ينظر: تعريف قصيدة النثر،ايمان الحياري، على الرابط:
https//:mawdoo3.com%/D8%AA%D8%B9%D8%B1%D9%8A%D9%81%_D9%82%D8%B5%D9%8A%D8%AF%D8%A9%_D8%A7%D9%84%D9%86%D8%AB%D8%B1

2 ينظر: تعليقات على شرح فُصوص الحِكَم، ص18

3 ينظر: لغة الشعر الصوفي، نظيم مُحَمَّد، ط2، دمشق، 2010، ص122

لِحَركَة التَّجربَة الصُّوفية، بِكُل مَا تَمُورُ به مِنْ تَوْق، وَتَوَقُّد، وَتَوَحُّد، وَاجْتِثَات، وَاكْتِوَاء، وَإِشَارات، وَحُجُب، وَتَلْويحات، وَتَطوحَات، فَهِي لَيْسَتْ – فَقَط – تَجْربَة كِتَابَة ؛ وَبِالتَّالِي فَهِي لا تَنطَلِق مِنْ شَكْل محدد.

ويَتَميز التَّعبير هنَا بِالإبدَاعية ؛ وَالاكْتِفاء، وَالتَّكثِيف الشَّديد، وَهَذَا مَا حَدَا بِالبَعْضِ أَنْ يَنْظُر إلى بَعْض مُنْجَزَات النَّثر الصُّوفي الشِّعري، بِاعْتِبَارِها أَقْدَم نَمَاذج قَصِيدَة النَّثر[1].

وسيميائيا لَمْ يَبْدَأْ النَّثرُ الصُّوفيُّ الشِّعري، كَنُصُوص طَوِيلَة وَمُكْتَمِلَة، في مَرْحَلة وَاحِدَة، فإنَّ مَا وَصَلَنَا – مِن بداياتهِ – لا يَعْدُو كَوْنِهِ شَذَرَات مَجَازِيَّة مُكثَّفة، رُبَّما يَكون أقدَمَهَا هَذِهِ الشَّذَرَات المُكثَّفة المَشْحُونَة،الَّتي تَعْقُب خُطَب الإمام عليّ بن أبِي طَالِب، في: نَهْجِ البَلاغَة، وَتَلِيْهَا مَرْحَلَةُ البِدَايَات التَّأسِيسيَّة لِكِتَابَة النَّثر الصُّوفيِّ الشِّعري، وَكَانَ ذَلك في القَرنيْنِ الثَّاني وَالثَّالثِ الهِجريَّينِ، حَيْثُ بَدَأَ مُتَصوِّفة القَرْنِ الثَّاني صِياغة تَجَارِبِهِمْ في عِبَارَات مُكثَّفة، أمْسَت، فِيْمَا بَعْد، أقوالا مَأثُورَة، وَفي القَرْنِ الثَّالث دَخَلَ النثر الصُّوفي الشِّعري مَرْحَلَة التَّدويْن[2].

وتجسّد بعضَ نموذج ذلكَ مما تأثر به إبن عربي وشرحهُ الإمام« قُدِّسَ سِرُّهُ » في تعليقات على شرْح فُصوص الحِكَم في مواقف الصوفي النفري ومخاطباته حيث هَذِهِ النَّبرَةُ الشِّعريَّةُ ؛الَّتي حَمَلَتْهَا كِتَابَةُ النَّفَّري، كَانَ لَهَا فِعْلُ السِّحْرِ في جِيْلِ الخَمْسِينيَّاتِ . في الشِّعرِ العَرَبِيِّ . الَّذيْ اقْتَرَنَ عَمَلُهُ الطَّليعِيُّ بِمَا سُمِّيَ بـ(قَصِيْدَةِ النَّثرِ) . ؛ فَأَدُونيس، في أوَّلِ دِرَاسَةٍ لَهُ عَنْ قَصِيْدَةِ النثر ذات الشعرية النثرية أشَارَ إلى أنَّ هَذَا الجِنْسَ الشِّعري، نَشَأَ أسَاسًا في الأدَبِ العَرَبِي، بِخَاصةٍ نَثْر المُتَصَوِّفَة، وَحَاوَلَ أدُونيسُ أنْ يُقِيمَ جِسْرًا بَيْنَ النَّثرِ الصُّوفِيِّ وَالتَّجربَةِ الشِّعريَّةِ النَّثريَّةِ الجَديدَة، كَمَا قَدَّمَ أدُونيسُ كِتَابَةَ النَّفَّري، كَنَمُوذَجٍ (قَدِيْمٍ) لِكِتَابَةٍ (جَديدَةٍ)، كَانَتْ خُرُوجًا على الشَّكليَّةِ الكِلاسِيكِيَّة، وَتَأسِيسًا لِشَكْلٍ شِعْريٍّ آخَر. واعتَبَرَ كِتَابَ المَوَاقفِ وَالمُخَاطَبَات، لِلنَّفَّري، أَهَمَّ مَصَادرِ قَصِيدَةِ النَّثر، وَقَالَ ادونيس: «لا أعْرِفُ كَيْفَ أصِفُ دَهْشَتِي – حِيْنَ قَرَأتُهُ – ؟ أعْرِفُ أنَّني شَعَرْتُ . وَأنَا أقْرؤهُ – أنْ لِمَا أقْرؤهُ فِعْلَ القَتْلِ: قَتْلِ مُعْظَمِ الشِّعرِ الَّذيْ سَبَقَه، وَمُعْظَمِ الشِّعرِ الَّذيْ

1 ينظر: الجِنْسُ الأدَبِي بَيْنَ المَوْهِبَة الفَرديَّةِ وَالرَّافِدِ الغَربِي، مُحَمَّد ديب، مَجَلة: (عَلامَات) – ج12/م3 – يونيو1994 – ص:161.

2 ينظر: التَّعرُّف لِمَذْهَبِ أهْلِ التَّصوُّف – ابو بكر الكلاباذي، تحقيق: محمود النَّوادِي – مكتبة الكُلِّيَّات الأزْهريَّة – القَاهرة – 1400هـ/ 1980م – ص:36

أَتَىَ بَعْدَه، هَكَذَا أَدْرَكْتُ أَنَّني أَمَامَ شَاعرٍ عَظيْمٍ»، وَأَوْضَحَ أَنَّهُ يَعْتَمِدُ اللاشَكْل وَالنِّظَام، وَلا يُكرِّرُ لُغَةً مَعْرُوفَة، وَأَنَّهُ يَكْتَشِفُ لُغَةً غَيْرَ مَعْرُوفَة، وَأَنَّ اللغَةَ عِنْدَهُ خَالِقَةً وَلَيْسَتْ مَخْلُوقَة، وَأَرْجَعَ قيْمَةَ الشِّعريَّةَ عِنْدَهُ إلى كَوْنِهَا، تُوحِي بأكثر مِنْ مَعْنَى، وَفي كَوْنِهَا لا تَكْتَمِلُ بلْ تَظَلُّ مَفْتُوحَة، وَفِي كَوْنِهَا نُقْطَةَ انْطِلاقِ لا نُقْطَةَ وُصُول، وَفي كَوْنِهَا كالإنْسَانِ ذَاتِه، يَتَحَرَّكُ أبدًا صَوْبَ وُجُودٍ مَفْتُوحٍ أبدًا»[1].

بينما فاق ذلك الإمام الخُمَيْني سيميائيًا كَما في نصّهِ الشهير: (بل الأسماء كلها في الكلِ، فكلُّ إسمٍ بالوجْهةِ الغيبيَّة لَه أحَدِيَّة الجَمْعِ بل كل الأسماء هو الإسم الأعظم) [2]. فهذا شِعْري ضمن سيميائيَّة النثر استنادًا لشعريَّتهِ النثريَّةِ سيميائيًا في تعليقات على شرْح فُصوص الحِكَم بما تفوق على شعريَّة إبن عربي، والإمام أتى في آخرِ مراحلِ شعْريَّة النثرِ الصوفي فجَمَع سيميائيَّات أرْوعُ ما فيهنَّ حيث إنَّ شعريَّة النثر في قصيدةِ النثرِ القديمَةِ والحديثةِ وخاصَّة قصيدةَ النثرِ الصوفي الَّتي تحملُ السماتَ الشعريَّة يمكن أنْ نُقسّم عصور الشعرِ الصُوفي ونشاطاتهِ وشيوعِهِ إلى مَراحل زمنيَّة مُتتالية:

المَرحلَةُ الأوَّلى – وهي « مرحلة الخلافة العباسيّة وما قبلها بقليل أي (–100 200 هـ)، وتشملُ القرن الثاني الهجري بأكمله، وفيها كانَ الشعرُ الصُوفي يُكوِّن نفسَهُ بنفسِهِ، وينهضُ بتقاليدِهِ الفكريّة والفنية؛ ليؤصّلها في أذْهانِ الناسِ، وكان هذا الشعر الصوفيَّ لمحات دالَّة أو قليلاً من الأبيات الموجودة، ومن شاعراتِ وناثراتِ شعريَّة النثرِ الصُوفي هذه المَرْحَلةُ الشاعِرة رابعة العدويّة (ت 185هـ)– شهيدة العشقِ الإلهي–الَّتي «تحسّستْ ولا شكَّ الصراعات المُتضاربة والحادَّة في البصْرة تلك أذاقتْها مرارةَ الفقْرِ والحِرْمانِ أوَّلاً، ثم جرفْتهَا بعد ذلكَ إلى هاويَةِ المُجون واللّهو، ثم أفاقت أخيراً لتجلُو عن روحِها، ثم أقامَتْ أخيراً لتجلُو عن روحِها ما غشيَهَا من إسراف وتأثيم، فاعتزلت الناسَ وشؤونِهم والحياةَ ومتاعَها وعَكَفَت على نفسِها تطهّرها بالعبادةِ المُتصلة من أدران الفجورِ والضلال، وتنشد الإتصالَ الرُوحي باللّه جل جلالُه. [3].

1 ينظر: تَأسِيس كِتَابَةٍ جَديدَةٍ، ادونيس، . مَجلَّة:مواقف المغربية، نوفمبر / ديسمبر 1971 .ص112
2 ينظر: تعليقات على شرح فُصوص الحِكَم، ص19
3 ينظر: الأدب في التراث الصوفي، مُحَمَّد عبد المنعم خفاجي، مكتبة غريب، القاهرة، ص 167و ما بعدها، ويُنظر: د. عبد الرحمن بدوي، شهيدة الحُب الإلهي، مطبعة مصر، القاهرة، ص 48–43.

المَرحَلةُ الثانيَةُ– وهذه المرحلةُ تشملُ قرنيينِ من الزمانِ: الثالث والرابع الهجريين، وقد كان الشعرَ الصوفيَّ في هذه المرحلةِ– في نهْضة وازدهارٍ، ومن شعرائِهِ: أبي تراب عسْكَر بن الحسين النخْشَبي، وأبو حمزَة الخراساني. وتُعد هذه المرحلة بداية التصوّف الحقيقي ودور المواجِد والكشفِ والأذواق[1].

المرْحَلةُ الثالِثةُ– و « تشملُ القرنينِ الخامس والسادس، وفيها يتَّجهُ الأدب الصوفيَّ إلى الحبِ الإلهي، ومدحِ الرسولِ الكريم– صلّى الله عليه وآله وسلّم– والشوقِ إلى الأماكن المقدَّسَة ويدعو إلى الفضائلَ الإسْلاميَّةِ، وفي هذه الفترة نشأ الأدبُ الصوفي الفارسي، وُعدُّ هذا الدورُ دور الكلامِ والتحررِ[2].

المَرْحلةُ الرابِعةُ– وتشملُ القرنَ السابع الهجري، وفيه بلغ الشعر الصوفيَّ قمَّةَ النهضة، ومن أَعلامِهِ عمر بن الفارض (ت 632هـ)، ومحي الدين بن عربي (ت 638هـ). [3].

ومن ثمَّ نجدُ إنَّ شعريَّة النثر الصوفيَّ والأشياء الشاعريَّة في التجربةِ الصُوفيَّةِ مُختلفة، ومُتناقِضَة ومُتضادَّة من جميع نواحيها إلاّ أنَّها تبرز في النهايةِ متحدة، ومؤتلِفة ومتناسقةً، فمثلاً اللغة الشعريّة الصُوفية تُناقض اللغة الدينيَّة (الشرعيَّة) من حيث إنَّ هذه أي اللغة الدينيَّة تقول الأشياءَ كما هي بشكلٍ كاملٍ ونهائي، بينما اللغة الشعريَّة «الصُوفيَّة» لا تقول إلاّ صوراً منها؛ لأنَّ المُطلق لا يُقال، ولا يُوصفُ، ويتعذر الإحاطَة بهِ، ويقصرُ العقلُ عن معرفتهِ، ويتولى القلب بالحدسِ والشوقِ والانفعالاتِ معرفة الحقائق المُراد الإطلاع عليها، ليس اطلاعاً، بل اندماجاً واتحاداً بها؛ لأنَّها الأصل، فما لا ينتهي لا يُعبر عنهُ إلّا ما لا ينتهي الكلام، وتظل قدرات رمزية، وسوف يظلُّ القولُ الصُوفي شأنُ القول الشعريَّ مجازاً ولن يكون حقيقة كمثل القول الديني الشرعي[4].

المَرحَلَةُ الأخيرةُ هي العصرُ الحديثُ وفيهِ ظَهَر شرْح الإمام الخُمَيْني « قُدِّسَ سِرُّهُ» لفُصوص الحِكَم بالشعريَّة النثريَّة الصوفيَّة العرفانيَّة سيميائيًا الَّتي ميزته « قُدِّسَ سِرُّهُ» وسط العرفانيين، والصوفيَّة ليست فرقة سياسيَّة غايتها الوصولِ إلى سُلم السُلطة

1 ينظر: التصوّف الإسلامي– مفهومه وتطوّره ومكانته من الدين والحياة، حسن عاصي، ط2، مؤسسة عزّ الدين، بيروت، 1994م، ص61

2 ينظر: التصوف الإسلامي، حسن عاصي، ص68

3 المصدر نفسه، ص69

4 ينظر: في الأدب الصوفي،نظمي عبد البديع، ط2، القاهرة، ص26

الدنيويَّةِ والجاه الدنيوي الزائل، إنَّما هي أحوالٌ روحانيَّة وسُلوكيات ومقاماتٌ علويّةٌ مثل» الإعتراض لسلوك سُبل الأوَّلياء، والنزولِ في مَنازل الأصفياءِ ومُباشرة حقيقةَ الحقوقِ ببذل الروحِ وتلف النفسِ واختيارِ الموتِ على الحياة.....؛ طَمعاً في الوصولِ إلى المراد؛ لأنَّها « سلوكٌ عمليٌ قُصِدَ به كبح جماح النفس، وترويض طبائِعها، ونفي خُبثها بتقليل الزادِ وتخشينِ اللباسِ والنظر إلى الدُّنيا بعين الإعتبار[1]. وهو ما بيَّنه الإمام الخُمَيْني« قُدِّسَ سِرُّهُ » بقوله: (المشرب الأعلى هو أنَّ السالكَ بقدم العرفانَ إذا فني عن فعلِهِ حَصَل لهُ المحُو الجمالي في هذا المقام) [2].

ونسْتنتجُ ممَّا تقدم أنَّ هناك علاقة بين مثلَّث شعريَّة النثرِ والنثرِ الصُوفي الشعري وأدب المتصوِّفةِ شعرًا ونثرًا على حد سواء في شرح الإمام الخُمَيْني« قُدِّسَ سِرُّهُ » على الفُصُوص وفي نصُوصٍ من كتابهِ مصباح الولاية وقد أجاد سيميائيًّا في ذلك، لانَّ شعريَّة النثر تتحولُ إلى شعريَّة تصفُ التجربَةَ في نثرِ وشعْرِ المُتصوِّفةِ لغايةِ القرْن السابعِ الهجْري وهو ما يجعل الدرسَ في تحديدِ وتحليلِ ذلكَ ذا امكانياتٍ متكاملةٍ لفهم شعريَّة النثرِ الصوفيّ حتى عصرهِ « قُدِّسَ سِرُّهُ».

المبحث الثالث:

دلالةُ شعريَّة النثرِ الصوفيّ عندَ الإمامِ الخُمَيْني « قُدِّسَ سِرُّهُ» في الدِلالةِ السيميائيَّة

احتلَّت البحوثُ الدلاليَّةُ السيميائيَّة ومعها الدراساتِ المُحددةِ لمعْنى الشعريَّة ومَبْناها حيّزًا من جهودِ المُحققينَ في لغةِ الصُوفيَّة، حيث أنَّ إقترانَ الدلالة والمعاجم عندهم كان نمطًا من أنماط البحثِ اللغوي التحقيقي في الفكر الصوفي، وفي شعريَّة النثرِ الصوفي، وفي تحليلِ لُغة الإمامِ « قُدِّسَ سِرُّهُ ».

يُقصد بالدّلالة لغةً الإرشاد إلى الشّيء والإبانة عنه، واشتُقّت هذه الكلمة بالأصل من الفعل (دَلَلَ) بمعنى استيضاح الأمر بدليلِ نفهمهِ، والدّليل: ما يُستَدَلّ به، فدّله على الشَّارع؛ أيّ يدلّه دِلالة ودَلالة، أمّا اصطلاحاً فهو العِلم الَّذيْ يبحث في «المعنى»، ونظريَّاته مع كيفيّة جعل المُفردات ذات معنى، كما تُعرَّف الدّلالة بأنّها استخدام المُفردات

1 ينظر: شعر عمر بن الفارض– دراسة في فنّ الشعر الصوفي– عاطف جودت نصر، ط1، الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع،، 1982م، ص10

2 ينظر: تعليقات على شرح فُصوص الحِكَم، ص21

استخداماً مُعيّناً ضمن نَسَق لُغويّ مع مُفردات أخرى مع وُجود علاقات بينهم حيث: «الدّلالة هي كَون الشّيء بحالة يلزم مِن العلم به بشيءٍ آخر، و الأوَّل هو الدّال، والثّاني هو المدلول. [1]

المقصودُ بعلمِ الدلالة: هو العلمُ الَّذيْ يختص بجانب المعنى، فاللغة –كما نعرف– لفظٌ ومعنى، أو دال ومدلول، أو شكلٌ ومضمونٌ، أو صورةٌ ومُحتوىً، وإذا كان اللفظ قد نال اهتمام الدراسات اللغويَّة على مرّ العصور والأجيال؛ لدرجة أنْ نشأت علوم كثيرة حوله مثل: النحو أو الـ"Syntax"، والصرف أو الـ"Morphology"، والصوتيَّات أو الـ "Phonetics"والأسلوب أو الـ "Style"والاشتقاق أو الـ"Etymology" فإنَّ المعنى –الَّذيْ هو نصف اللغة– قد اهتمَّ به أيْضًا العلماء، وقد نشأ حوله علمٌ واحدٌ هو علمُ الدلالة.

ويعرَّف هذا العلم بتعاريف كثيرة منها: أنَّه علمُ المعنى، أو علمُ دراسة المعنى، أو علمُ معاني الألفاظ، أو ذلك الفرع من علم اللغة الَّذيْ يتناول نظريَّة المعنى، أو الفرع الَّذيْ يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرًا على حمل المعنى. [2]

ومهما تعددت التعاريف لهذا العلمِ فإنَّها تُجمع على أنَّه دراسةُ للمعنى، فموضوع علم الدلالة: هو دراسة الرموز وأنظمتها بوصف كونها أدوات اتصال بين البشر، ومن بين تلك الرموز دلالات اللغة.

وقد فرَّق بين الدلالةِ وعلمِ الدلالة: فالدلالة: ما يقتضيه اللفظ عند إطلاقه، والمعنى الَّذيْ تنقله الكلمةُ والَّذيْ يعبر عن العلاقة بين الدال والمدلول عليه؛ الدال هو الكلمةُ، والمدلول عليه، أي: الشخص أو الشيء أو المفهوم خارج اللغة.

وأمَّا علم الدلالة: فهو علمٌ يبحث في معاني المُفردات، والعلاقات بينها، ويكشف عن تطورِّها، وعلمُ الدلالة يعد من أحدث الدراسات اللغويَّة وتأخر اهتمام المحدثين من علماء اللغةِ بمُشكلة المَعنى. [3]

1 التعريفات، الجرجاني، ط2، دار العلم، بيروت، 2011، ص123
2 الدلالة، مُحَمَّد عبد الله، ط2، دمشق، 2009، ص18
3 التعريفات، الجرجاني، ط2، دار العلم، بيروت، 2011، ص123

ودراسَةُ المعنى في لُغة الشعريَّة الصوفيَّة لشعريَّة النثر الصُوفي عند الإمام الخُمَيْني القائل: (التجلّي هو الفيضُ المُقدس) [1]. والقائل: (الحقيقةُ الغيبيَّة لا تنظر نظر لطفٍ أو قهرٍ ولا تتوجه توجه رحمةٍ أوغضب) [2]. وهما نصَّان يجسدان دلالةَ سيميائيَّات خِطاب الإمام « قُدِّسَ سِرُّهُ » حيث هي أي الدلالة هاهنا أساس الدراسات اللغويَّة لظاهرةِ شرْحه للفصُوص وما بثَّه في مِصباح الهداية، ومن ثمَّ احتلَّ البحثُ في دلالة الألفاظ مكانةً ساميةً ومنزلةً مرموقةً بين علوم اللغةِ وبخاصّة عند علماءِ العربيَّة، وما كان ذلك ليحدُثَ لولا إرتباطه الوثيق في نشأته بأقدس كتاب لبحث غريبه وتفسيره، والبحث في أسباب نزول آياته، والوقوف على الأحكام الشرعيَّة منها؛ ولذا أفاد منه علماء التفسيرِ والحديثِ وأصولَ الفقه وعلماء التصوّف.

وفي قوله قد سره: (البطونُ والغيبُ اللذان نسبناهُما إلى هذه الحقيقةِ الغيبيَّة ليسَا متقابلَيْن للظهور الَّذيْ من الصّفاتِ في مقام الواحديَّة والحضرَة الجمعيَّة) [3].

نلاحظ تمحوِر الدلالة اللغويَّة لشعريَّةِ النثر الصوفي عند الإمامِ « قُدِّسَ سِرُّهُ » سيميائيًّا وأنَّها عنده لا تَجمع بين شيءٍ واسمٍ، في قولهِ البطونِ والغيب، وإنَّما تَجمَع بين مفهوم وصورة سمعيَّة، وهذه الأخيرةُ ليستْ هي الصوت الماديَّ؛ أي: شيئًا فيزيائيًّا خالصًا، بل هي بصمةٌ نفسيَّةٌ لهذا الصوتِ، أو هي دالَّة على الرمزِ المؤدي للخطابِ غير المُباشر [4]

والدلالةُ اللسانيَّةُ للغةِ الشعرِ الصوفي عند علماءِ فقهِ اللغةِ في قضيَّة شعريَّة النثرِ الصوفي: إعتباطيَّة وهي حاصلةٌ باتحادِ الدالّ بالصورةِ السمعيَّة بالمدلولِ المفهوم ويقصد بالإعتباطيَّة Arbitraire أنَّ العلاقةَ بين الدالِّ والمدلول علاقةٌ غيرُ مُعلّلة بالمنطقِ والعقلِ، وقد أورد مثلًا في هذا الصدد لفظ الأخت(sœur) حيث: إنَّ معنى هذا اللفظ «ليس مرتبطًا بأيةِ علاقَة قد نتخيَّلها موجودةً داخل سلسلة أصْوات لفظ: الأخت، وهي أصواتٌ اتُّخِذَتْ وسيلةً كصوتٍ دالٍّ؛ لأنَّه يُمكن لهذه أنْ تُصوَّرَ بأيةِ سلسلةٍ أخرى من الأصوات تكون دالةً. [5]

1 ينظر: تعليقات على شرح فُصوص الحِكَم، ص23
2 ينظر: مصباح الهداية، ص17
3 ينظر: مصباح الهداية، ص19
4 الدلالة في لغة الصوفية، زينة جليل عبد، ط1، الوقف السني، بغداد، 2011، ص 262
5 محاضرات في علم اللسان العام، دي سوسير، ترجمة مُحَمَّد القنيني، ط3، دار العلم، دمشق، 2011، ص122

إنَّ علمَ الدلالة هاهُنا على ما نطبّقهُ على تعليقات على شرْح فُصوص الحِكَم ومصباحِ الهداية للإمام الخُمَيْني « قُدِّسَ سِرُّهُ » هو جزءٌ من علم اللغة في دراسةِ شعريَّة النثر الصوفي، أو مُستوى من مستوياته، كما في قوله « قُدِّسَ سِرُّهُ»:(لا يكون الاسم بلا مظهر أصلًا بل مظهره مستأثر)[1]. حيث أبرز المعنى دلاليًا بايجاز اللفظ سيميائيًا، في المُضمر والمَظهر الاسمي عنده « قُدِّسَ سِرُّهُ »، فاللغة الدلاليَّة السيميائيَّة عنده « قُدِّسَ سِرُّهُ » هنا هي نظام اتصالٍ يجعل شيئًا ما على اتصالٍ بشيءٍ آخر، رسالة من ناحية ومجموعة من العلاقات، أو الرموز من ناحية أخرى،ويعد المستوى الدلالي من أكثر المستويات أهميَّة، وذلك كونه يجمع الجوانب الثلاثة الأخرى في إطار واحدٍ كي تكون خادمةً له من أجل إفراز معنىً ما يتمخض عن تحليل البنيَة اللغويَّة للجُملة. وعلمُ الدلالَةِ في أبْسط تعريفاتهِ المقاربة لمعنى شعريَّة النثر الصوفي: (هو العلمُ الَّذيْ يهتم بدراسةِ المَعنى)، فإنَّ هذا المعنى لا تبرزهُ إلاّ الكلمة، ولا حياةَ للكلمةِ إلا في إطار السياق الَّذيْ يحتويها سواء أكان هذا السياق مكتوبًا مقروءًا، أم منطوقًا مسموعًا.[2]

ونجد أنَّ علمَ الدلالةِ (السيمانتك – Semantics) الَّذيْ نجده في تعليقات الإمامِ على شرح فُصوص الحِكَم ومصباح الهداية هو نطاق: للمجال الَّذيْ يُعنى بتحليل المَعنى للألفاظ اللغويَّة ووصفِها، ولا تقتصرُ اهتمامات هذا العلم على الجوانبِ المُعجميَّة من المَعْنى فقط، بل تشمل أيْضًا الجوانب القواعديَّة، فإنَّ مباحثه لا تقتصرُ على معاني الكلمات فقط،لا بل تشمل أيْضًا معاني الجمل، وإنْ كان اللسانيون في عصرِ ما قبل الثمانينياتِ يميلونَ إلى الاقتصارِ على معالجة المعاني المعجميَّة للمفردات فقط دون أنْ يتطرقوا تطرقًا كافيًا للعناصرِ القواعديَّة وبنى الجمل، وكان لتطورِ النحوِ التوليدي أثرٌ بارزٌ في توسيعِ مفهوم علم الدلالةِ البنيوي المُعجمي ليشملَ مباحثَ تتصل بعلم دلالةِ الجُمْلةِ على ما سنراه في تطبيقه على شعريَّة النثر الصُوفي.[3]

فالدلالةُ عنده « قُدِّسَ سِرُّهُ » تعْلَقُ بالقصْديَّةِ في المبنى والمَعنى كما في قوله « قُدِّسَ سِرُّهُ »: (الوهم.. ظلّ الفيضِ الأقدس الأحديُ أو الإسم الأعظم بالوجْهَةِ الغَيبيَّة) [4].

1 ينظر: تعليقات على شرح فُصوص الحِكَم، ص26
2 ينظر: علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، فريد عوض حيدر ،ط1،القاهرة: مكتبة الآداب، 2005. ص49
3 ينظر: المدخل إلى علم المعاجم والدلالة، احمد علي محمود ربيع، ط1 مكتبة الرشد، الرياض، 2007، ص122
4 ينظر:تعليقات على شرح فُصوص الحِكَم، ص28

وقد جاءَ بهما « قُدِّسَ سِرُّهُ » في النصّ، أي الاسمُ ودلالتهُ على اقترانِهما بالنطقِ والإرادة حيث: انتبه النحويون في تقعيدِهم الأحكام النحويَّة للعلاقةِ القائمةِ بين ما نطقت به العربُ وما أرادته أي القصد من كوامن العللِ والأغراض والمقاصِدِ المَنسوبة اليها في قضيَّة الكرامةِ فقصدُ المتكلمِ عندهم يؤثر في الوظائف الإعرابية وتحديدها على الوجهِ الَّذيْ ينبغي أنْ تكون له. [1]

ومَن نماذجِها عندهم الدلالةُ الصوتيَّة للشعريَّة السيميائيَّة في إظهار صوتِ الولي [2] فجسدها الإمام« قُدِّسَ سِرُّهُ » في قوله: (الذاتُ من حيث هي لا تعيينَ لَها أصلًا) [3]. وجسدها بتحقيقِ الصوتِ اللفظي في نصّه بأصليه الفارسي والعربي، فجسَّدَ صوتيَّة سيميائيَّة الذاتِ بأحرُفها وعدم تعيينها باعتبار: إنَّ الدلالةَ الصوتيَّة هي ما تؤديهِ الأصواتُ المكوّنةُ للكلمةِ من دورٍ في إظهار المعنى، وذلك في نطاق تأليفِ مجموع أصوات الكلمةِ المُفردة، سواء كانت هذه الأصواتُ صوامت (consonants) أو حركات، (vowels)وتسمى بالعناصِر الصوتيَّة الرئيسَة الَّتي يشكل منها مجموع أصوات الكلمة الَّتي ترمز إلى معنى معجمي، كما تتحقق الدلالة الصوتيَّة كذلك من مجموع تأليفِ كلماتِ الجُملة وطريقةِ أدائِها الصوتي ومَظاهر هذا الأداء، وهذا ما يُعرف بالعناصرِ الصوتيَّة الثانويَّة الَّتي تصاحب ذاتيَّة الكلمةِ المُفردة. [4]،

على ما جسَّدهُ الإمام« قُدِّسَ سِرُّهُ » دلاليًا وسيميائيًا في وقت واحدٍ.

والدلالةُ الصوتيَّةُ تعتمد على تغيير الفونيماتِ، أي باستخدامِ المُقابلاتِ الاستبداليَّة بين الألفاظِ، حتى يحدث تعليلًا أو تغييرًا في معاني الألفاظِ لأنَّ كل فونيمٍ مُقابل استبدالي لآخَر، فتغيره أو استبداله بغيرهِ لا بدَّ أنْ يعقبه اختلاف في المَعنى، كما نقولُ في العربيَّة: نفر ونفذ، فبمجرد استبدال الراءِ بالذالِ يتغير معنى الكلمتينِ بصورةٍ آلية... وعلَيه كلُ حرفٍ أو حرَكة في اللغةِ العربيَّة يُمكن أنْ يكونَ مُقابلًا استبداليًا، فالحروفُ في تبدّلها ذاتَ وظيفةٍ فونيميَّةٍ، كذلك الحركاتُ في توصيفِ شعريَّة النثرِ الصُوفي لها دلالةٍ

1 ينظر: القصدية واثرها في توجيه الاحكام النحوية حتى نهاية القرن الرابع، د حيدر جاسم جابر الدنيناوي، ط1، دار الوضاح ودار دجلة، عمان، الاردن، 2016، ص60

2 ينظر: طبقات الشعراني، الشعراني، ط2، بيروت، 2010، ص122

3 ينظر: تعليقات على شرح فُصوص الحِكَم، ص30

4 التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، محمود عكاشة، ط1. دار النشر للجامعات، القاهرة 2005، ص 18-17.

صوتيَّة، أي ذاتَ وظيفةٍ فونيميَّةٍ أقرب إلى وظيفةِ الحروفِ في تغيير معاني الكلمات. [1]

فمن تحقيقاتِ الدلالةِ الصوتيَّة تحقيق إيجاد شعريَّة النثر الصوفي عند الإمام كما في قوله: (لا يُطلق على الذاتِ من حيثِ هي الحَضْرة) [2] فجسَّد ذلك بصوتيةِ الفاظهِ العربيَّة المفخمة الجرس عنده في هذا النص وهو ما يتحددُ سيميائيًّا في قضيَّة دلالة تفخيمِ الأصواتِ ودلالاتِ في النثر وشاعريَّة النثرِ على سبيلِ المثالِ هذا التفخيم في الاستدراكِ اللغوي الدلالي حيث ترى: إنَّ تفخيم الأصوات قد يّقع في غير اللغة الفصيحَة. [3]

ومنْ نماذجهِ دلالة شعريَّة النثرِ الصوفي العرفاني عند الإمام« قُدِّسَ سِرُّهُ » سيميائيًّا الدلالة السياقيَّة حيث: الدلالة السياقيَّة الصرفيَّة لشعريَّة النثرِ هي تعالُق الفعلِ وأبوابه بالسياقِ الدلالي في توصيف بنى الكرامة من قبل الولي الصوفي دلاليًا وفق النظام الَّذيْ يجيء عليه، إذ السياق: يعد وسيلة للحصول على الدلالة الدقيقة والمضبوطة من مجموعة من الأوجه الدلاليَّة المُحتملة و دلالة الصيغة الصرفيَّة: دلالة مُفردة معزولَة عن السياقِ، تتميز بالتعددِ والاحتمال، فمثلًا صيغة (سائل) على وزن (فاعل) تحتمل أكثر من معنى بالنظر إلى صيغتها؛ فيمكن أنْ تكون إسم فاعل ويمكن أنْ تكون صفة ويمكن أنْ تكون فعل أمرٍ. وهذه المعاني المتعددة تحتاج إلى ما يحصرها ويزيل عنها اللبس.[4]،كما في نموذج سؤال السائل للشائلي عن كرامات لغة حزب البحر الصوفي.[5]

ونتَج عن الجمعِ بينَ مصطلَحَي الدلالة والسياق ما يسمى بالدلالة السياقيَّة، وهو مُصطلح فرضتهُ طبيعة اللغة السياقيَّة، فاللغة البشريَّة مُحتاجة إلى التركيبِ بين الكلماتِ، وإلى شحَّنِها بمقاصد معينة، لذلك كانت الكلمة المفردة قاصرة عن إبلاغ الفائدة وتأدية الأغراض التواصليَّة المُختلفة، وكان السياق –بنوعيه – وضمنه الدلالة هو المِعيار الأساسي لتكون الدلالة السياقيَّة الصرفيَّة المُتعلقة بالفعلِ وما يشتق من الأسماء منه هي أحد أنواع الدلالة الَّتي تتأثر بالسياق، لذلك كانت دلالة عمليَّة فالدلالة السياقيَّة الصرفيَّة:

1 الدلالة اللغوية عند العرب، عبد الكريم مجاهد. ط1، دار الضياء، عمان، الأردن،2011، ص 166.
2 سنظر: تعليقات على شرح فُصوص الحِكَم، ص31
3 الاصوات المذلقة في اللغة العربية، ولاء صادق محسن، ط1، الوقف السني، بغداد، 2019، ص 622.
4 السياق واثره في توجيه الصيغ الصرفية، سماح ايمان بوروس، ط1، الجزائر، 2019، ص15
5 حزب البحر، ابو الهدى الصيادي، ط2، بيروت، 1905م، ص11

(المعنى الفعلي في مثال معين في مكان مُعيَّن في نص مُعيَّن مع موقف معين) [1]

فنجد للدلالة السياقيَّة مكانها الرمزي والسيميائي والخطابي في قوله « قُدِّسَ سِرُّهُ »: (الخليقةُ الإلهيَّةُ والحقيقةُ القدسيَّةُ الَّتي هي أصلُ الظهورِ لا بدَّ أنْ يكون لها وجهٌ غيبيٌ إلى الهويَّة الغيبيَّة ولا تظهرُ بذلِك الوجه أبدًا) [2] فجسد الدلالةُ السياقيَّة بالهويَّة الغيبيَّة سيميائيًا وكذلك في قوله: (الميزانُ في مشاهدةِ الصورِ الغيبيَّة هو انسلاخُ النفسِ عن الطبيعةِ والرجوعِ إلى عالَمِها الغَيْبي) [3]وهكذا فإنَّ الدلالةَ السياقيَّة تتعلق بسياقِ البناءِ الشعري للمبنى النحوي والصرْفي[4] والأفعالُ الثلاثيَّة المَزيدة هي أساس الدلالة السياقيَّة في دلالةِ الأفعالِ على سياقِ الزمنِ المنظورِ في الماضي والحاضرِ والمستقبلِ حيث السياق هو اقتران الزمان في شعريَّة النثر الصوفي بالفعل العربي[5] وهذه الأفعالُ هي عند الدكتورة خديجة الحديثي في شرح دلالتِها السياقيَّة لتوظيفها في شعريَّة النثرِ الصُوفي:

وتتحددُ الأفعالُ الثلاثيَّة المزيدة بمجموعةِ الصيَغِ والأوزان والأبنية المُنبثقة من ميزانِها الصرْفي في تحليل البناءِ الصرفي لشعريَّةِ النثر الصُوفي عنده« قُدِّسَ سِرُّهُ » وهي:

(دلالاتُ الزيادَةِ في حدودِ الفعل الثلاثي على ما تلحقُ بهِ من زيادات لازمةٍ أو غيرِ لازمَة) [6]

وهو ما تجسَّد في تمايز دلالات السياق في قضايا دلالةِ المُتشابه اللفظي في شعريَّة النثرِ الصُوفي[7]

وذلك في لغةِ توصيفِ الإمامِ للاسميَّة في تعليقاتٍ على شرْح فُصوص الحِكَم ومصباح الهدايةِ لمجيء الكلمة في أصْل فعلِها في السياقِ الدلالي، وكلّ فعلٍ أريد مِنهُ الدلالَة السياقيَّة على ثباتِه في صاحبهِ حتى أَشبه الغرائز، يَجوز أنْ تحولهُ من بابه

1 علم الدلالة العربي – النظرية والتطبيق، فايز الداية، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1996،ص22
2 ينظر: مصباح الهداية، ص24
3 ينظر: تعليقات على شرح فُصوص الحِكَم، ص36
4 الدلالة والسياق في العربية، سليمان مُحَمَّد، ط2، دار القلم، دمشق، 2011، ص122
5 نفسه، ص156
6 معجم الادوات، ص 355
7 البحث الدلالي في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، احمد ابراهيم صاعد، ط1، الوقف السني، بغداد، 2012، ص63

المسموع، إلى هذا الباب للمُبالغة في المدح مثل فهُم يفهُم وكذُب يكذُب بمعنى أَنَّ الفهم والكذبَ صارا ملكةً ثابتةً في صاحبهما يضمنْه معنى الاعتلال في المُراد من دلالتِه، فالفعلُ ركنُ الدلالةِ لمهم في العربيَّة وفي بناء الجملة العربيَّة دلاليًا إذ اهتمَّ القدامى كما يرى الدكتور ابراهيم السامرائي بالفعل؛ لأنَّه صاحب العمل في الدلالة [1]

وترتبط دلالات الثلاثي المجرد بالفعل نفسه شاعريًا وفعليًا في السياق الشاعري في تركيبته الزمنيَّة كما في قوله« قُدِّسَ سِرُّهُ »: (سائرُ الأسماء رشحاتُ الاسم الأعظم) [2] حيث أنَّ أبنية الأسماء الواصفة لذاتيَّة الشرح الَّذيْ حققهُ الإمامُ للفُصوصِ المُجرَّدة هي تتعاقبُ بين الجمود والاشتقاقِ فالجامدُ في أبنيةِ الأفعال الثلاثيَّة ما لزم صورة واحدة أي صورة الفعل الَّتي وُضعت على صورتهِ الحقيقيَّة ابتداء فليس لها أصلٌ ترجع اليه فهي لا تختلفُ باختلافِ الزمان والمكانِ في الماضي والحاضرِ والمُستقبلِ حيث تفريع الفعل إلى: حقولٍ دلاليَّةٍ من المسلماتِ اللغويَّة والتاليفيَّة في شعريَّةِ النثرِ الصُوفي قديمًا وحديثًا [3].

حيث في السياق الدلالي الصرفي والإعرابي للدلالاتِ بأنواعِها في توصيفِ الإمام للمعنى كما في قوله: (الحَمدُ هو إظهارُ كمالِ المَحمُود) [4] في شعريَّة سيمائيَّة دلالة شرح النثر الصوفي: فدلّ الإمامُ الخُمَيْني بشرح الحمد على معظم الوحدات اللغويَّة تقع في مُجاورة وحداتٍ أخرى. وإنَّ معاني هذه الوحدات لا يمكنُ وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحداتِ الأخرى الَّتي تقع مجاورة لها. وفق الدلالة السياقيَّة للباحثين العراقيين وتحديدهم لها [5].

وضمن الدلالة السياقيَّة للدرسِ الشاعرِي في توصيفِ شعريَّة النثر الصوفي: إلى أنَّ من المهم دلاليًا إعادة تبويب موضوعات الشعريَّة النثريَّة من جديد وتكتب بطريقة تقربها من الأفهام [6].

1 الفعل زمانه وابنيته، ابراهيم السامرائي، ط1، االراسالة، بيروت، 1980، ص 15
2 تعليقات على شرح فُصوص الحِكَم، ص41
3 نظرية الحقول الدلالية في كتاب المخصص لابن سيده، رزاق الازيرجاوي، ط2، الينابيع، دمشق،، 2010، ص19، ص19
4 ينظر: تعليقات على شرح فُصوص الحِكَم، ص42
5 علم الدلالة، احمد مختار عمر،ط2، الدار الجامعية بيروت، 2013، ص68
وينظر: الدلالة السياقية عند اللغويين، عواطف كنوش المصطفى، ط1، دار السياب، لندن، 2007، ص 53
6 الدراسات اللغوية في العراق، عبد الجبار جعفر القزاز، ط1، دار الرشيد، بغداد، 1981، ص 303

ولقد أكَّد محللو شعريَّة النثر الصوفي أهمية الدلالة بكل أفرعِها في الدرس اللغوي الحديثِ فيُقارن الدكتور عبدالكريم مجاهد في كتابه (الدلالة اللغويَّة عند العربِ) بين المُشترك اللفظي والمُشترك اللفظي لشاعريَّة النثرِ وشعريَّتِهِ ممَّا يقارن عند الباحث بشعريَّة النثر الصوفي، ويخلص من مقارنتهِ ذلك أنَّ هناك نقطة التقاء بيننا وبينهم ونقطة افتراق.

وفي الوقت نفسه يلمح إلى المنهج الَّذيْ اتبعه العربُ في دراسةِ المُشترك اللفظي في شعريَّة النثرِ الصُوفي، والمَنهج الَّذيْ اتبعه الغربيون، وموقف اللغويين المُحدثين من ذلك، فيقول الدكتور مُجاهد واصفًا المُشترك الدلالي: (ويبدو أنَّ الغربيينَ في دراستِهم للإشتراك يفصلون بين مصطلَحَين هما: Polysemyويعني تعدد المعنى للكلمة، وهذا أقرب لمعنى المشترك في العربيَّة). [1].

وهو ما طبَّقه الإمامُ« قُدِّسَ سِرُّهُ » قبلهم في نصه الشهير: (التجلّي بالفيضِ الأقدس قولي باعتبارِ رشق أسماع الأسماء) [2] فالإمام حدَّد معالم الرمزيَّةِ من خلالِ وصف الفيض باعتبارِهِ موازيًا لأسماع الأسماء في رمزيَّة تبرز معنى الخطاب الرمزي هاهنا.

ومن البّيْن إنَّ المُحدثين في دراساتِهم الدلاليَّة الاستدراكيَّة على النحوِ والصرفِ وشعريَّة النثر في القواميسِ والمعاجمِ أوجدوا قيمةً للدلالةِ نفسها وبخاصة الدلالة اللغويَّة العامَّة أو بعبارة اخرى في شعريَّة النثر الصُوفي ودلالتهِ على بنى شرح النصوص الصوفيَّة كما فعل الإمامُ الخُمَيْني في تعليقات على شرح فُصوص الحِكَم ومعانيها:

(لعلَّ في طبيعةِ الدلالةِ الَّذيْ يعني بالدلالةِ الحقيقيَّة الوضعيَّة للكلامِ والتي غايتُها الأخبار والتي تختلف عن الدلالة الَّتي تبحثُ فيها البلاغة وهي الدلالة المضافة الَّتي غايتها التأثير ما يجعله ينأى عن طبيعةِ الدراساتِ البلاغيَّة الَّتي تهتم بالدلالة _للغة الشعر الصُوفي والنثر الصوفي_الَّتي يكتسبها الكلامُ ليناسب المقامات الَّتي يُقال فيها وهي معانٍ ثانويةٍ مضافةٍ إلى المعاني الأوَّليَّة الَّتي يدل عليها الكلامُ والتي يعنى النحو بدراستها) [3].

1 الدلالة اللغوية عند العرب، عبد الكريم مجاهد، ص112
2 ينظر: تعليقات على شرح فُصوص الحِكَم، ص44
3 دلالة الاعراب لدى النحاة القدماء، بتول قاسم ناصر، ط1، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1999، ص 252

وهكذا فإنَّ الباحثَ يرى أهميَّة الدلالة في فهم سيميائيَّة الإمام الخُمَيْني الدلاليَّة في تعليقات على شرح فُصوص الحِكَم ومصباحِ الهدايةِ وتطبيقه لتلك الدلالاتِ مجازيًا وتحقيقيًا وهو كلُّه في إدراك سياق المعنى النحوي، بموازاةِ النأي عن الدلالةِ البلاغيَّة وسواهَا في فهمِ شعريَّة النثرِ الصُوفي عند الإمام« قُدِّسَ سِرُّهُ » في شرحهِ للفصوص ومصباحِ الهِداية.

ونجدُ أنَّ الباحثينَ في شعريَّة النثرِ الصوفي ونحن معهم في تحليل دلالة شرح الإمام« قُدِّسَ سِرُّهُ » للفصوص ونثره الصوفي الشعري العرفاني في مِصْباح الهدايةِ أوْلَوا عِناية للدِلالة الصَوتيَّة، هي الدّلالة الَّتي تعتمد على القيمةِ الصّوتيّة للحرف الواحدِ وما يُعبّر عنه، وذَكَر من قبل ابن جني في كتابه (الخصائص) العديد من الأمثلةِ عليها منها الفعلَيْن (قَضَم– خَضَم)، فالفعلُ الأوَّل يُقصدُ به: (أكلُ الشّيء اليابس)، أمّا الثّاني فهو: (أكلُ الشّيء الرّطب)، وقد أدّى هذا الاختلاف في وُجود حرفيّ (القاف–الخاء) في معنى الفعلَيْن؛ لما يراه العرب في حرف الخاء أنّه حرف (رخو)، وأنّ حرف القاف حرف (صلب). [1].

ومن إسهاماتِ الباحثين الدلاليَّة، تحقيقهُم في استدراكاتِهم اللغويَّة للدلالةِ الصرفيَّة نفسِها في أفعالِ شعريَّة النثر الصوفي كما عند الإمام« قُدِّسَ سِرُّهُ » في دلالاتِ نصُوصهِ في الكتابَيْن، حيث هي الدلالةُ الَّتي تأتي من الصيغةِ الصرْفيَّة للكلمة، وهي دلالةٌ تكتسبُها الكلماتُ من خلالِ وزنها؛ أبان تحديد مكامِن الدلالةِ فمثلًا: صيغةُ «فعّال» تدل على شخص وقع منه الفعل مع مبالغةٍ لا نجدها في صيغة «فاعل»، وصيغة «فعّل» تدلّ على تكثيرِ الفعلِ أو تكرره، مما لا نجدهُ في الصيغةِ الثلاثيَّة «فعل»... وهكذا.

فقد تفيدُ الصيغةُ في لُغة الإمام معنىً جديدًا زائدًا على المعنى المعجمي، ففي اللغةِ العربيَّة نجدُ كلمة «قطع» في قول الصوفيَّة: (قطع القطب الأمر). [2] تفيد مجردَ الفصْل والقطع، لكن كلمة «قطّع» –بتضعيف العين– تفيد فوق المعنى الأوَّل –وهو المعجمي– معنى زائدًا: هو المبالغة في القطع، ومثل ذلك قوله تعالى عن امرأة العزيز: {وَغَلَّقَتْ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ} (يوسف: 23)؛ فقد جاء الفعلُ بالتضعيف «غلّق»

1 الخصائص، ج1/ ص236

2 الطبقات، الشعراني، مصدر سبق ذكره، ج1/ ص211

ليدل على المُبالغة في الغلق، الَّذيْ يدلُ على قوة العزيمةِ في الإقدامِ على المُنكر، وهذا ما يحمل بطريقٍ غير مباشر براءة يوسف –عليه السلام.

إذًا؛ لم يدلَّ على مُجرد الغلق، ولكن دلّ على هذه المعاني الَّتي ذكرتها؛ ولذلك جاء الفعلُ مضعّفًا، وهذا البابُ واسعٌ في لغتِنا العربيَّة في شعريَّة النثرِ الصُوفي، وقد لمَسه العربُ عند حديثِهم عن معاني صيغ الزوائدِ في كتب الصرْفِ، ولمسُوه كذلك حينما قام ابن جني من اللغويين بعقد أبوابٍ للدلالة –تلك الَّتي أشرتُ إلى بعضها منذ قليلٍ– مثل: بابٍ في قوَّةِ اللفظ لقوَّة المعنى، وبابٌ في مُناسبة الألفاظِ للمعاني... إلى آخِره. في مَضامِينَ البنى الَّتي هي بينَ المَعاني وبينَ ما أُصْطُلِح عليه من مبانٍ[1].

وفي قول الإمام: (فهو تعالى حامد بلسانِ الذاتِ ومحمودٌ بالذاتِ وحامدٌ بلسانِ الأسماء ومحمودُ الذاتِ والأسْماء وحامدٌ بلسانِ الأعيانِ ومحمودٌ مع الأعيانِ وكلُها في الحضْرةِ الجمعيَّة والتفصيليَّة بل كلّها حامِدٌ ومحْمُودٌ). [2]

وتحليلهُ الدلاليُ السيميائي للحمدِ ومشتقاتِهِ، دليلٌ على سبقهِ في إبراز سيميائيَّة دلالة الاسم والمُسمّى بشعريَّة نثريَّة صوفيَّة عرفانيَّة ذوقيَّة، ونجد بموازاةِ ذلك أنَّ علماء تحليلِ شعريَّة النثرِ الصُوفي قد التفتوا في دراساتِهم اللغويَّة الصرْفيَّة إلى الصيغةِ، ودار حولَها منذ البدايةِ إلى النهايةِ علمُ الدلالةِ العربي، فتمَّ تقعيد صيَغِ العربيَّة وتحديدِ أصْنافِها وأقسامِها، ثم حدثت تلكَ الالتفاتة الرائدةُ في هذا الفرع من علم اللغةِ العربي إلى الدلالاتِ الخاصَّة الَّتي تقوم بها الصيغة الَّتي يصف بها الصوفي، أو الولي النثر شاعريًا، وذلك أمرٌ يكونُ في الأعمّ الأغلبِ فوق الدلالة المعجميَّة الَّتي نصَّت عليها كتب المعاجِمِ، في كونِ دلالة شاعريَّة الفعلِ في أفعالِ توصيفِ الكرامةِ يشبهُ ما يذكر دلاليًا من أنَّ شعريَّة الأفعالِ في نثرِ الكراماتِ وشعرِها تدلُّ على ارتباطِ الحدثِ، أو الفعلِ الَّذيْ تدلُّ عليه أساسًا، بشَيْئين: أحدِهما: الفاعلُ من جهةِ وقوع الحدثِ منه، وثانيهما: المفعولُ بهِ من جهةِ وقوعهِ عليه، وفي حالةِ اللزومِ يقع الإرتباطُ بين الحدثِ وبين الفاعلِ فقط. عندما يعدل أحيانًا عن الفعل إلى الإسمِ في دلالةِ أنْ يعبَّر عن الحدثِ بالفعلِ[3].

1 معجم المصطلحات الصرفية، ص 58
2 ينظر: تعليقات على شرح فُصوص الحِكَم، ص44
3 معاني الابنية في العربية، ص14

والدلالةُ الشعريَّة في النثرِ الصوفي للإمامِ الخُمَيْني في كتابَيه تبرُز في اللغاتِ البشريَّة الراقيَة؛ لأنَّ هذه الدلالةُ تكشفُ عن ظاهرةٍ أخْرى لها أهميتُها في واقع اللّغاتِ، ألا وهي ظاهرةُ الإشتقاق الدلالي، وقد اهتمَّ بها علماءُ اللغةِ المحدثُون، وجعلُوها شريحةً من شرائحِ علمِ اللغةِ، وفرْعًا من فروعهِ، ومستوًىً من مستوياتِ اللغةِ، فالاشتقاقُ مناطُه وأساسُه وهدفه تنويع المعنى، وتخصيصُ الدلالةِ، والتفريقُ بين معنًى وآخرَ، حتى تمتلكَ اللغةُ الوسائلَ المتعدَدة في التعبيرِ عن الدلالاتِ والمعاني الدقيقةِ حيث الكشْف عن المَعنى هو مصْداق البيان في البعْدِ الدلالي عامَّة. [1]كما في نموذجِ وصْف الدلالة بأنَّها لدى بعض الصُوفيَّةِ: دلالةُ أحوالٍ فاخِرة.[2]، في قوله« قُدِّسَ سِرُّهُ »: (إنَّ التعيينَ الأوَّل للحقيقةِ اللامُتعَينة هو كل التعييناتِ والظهوراتِ) [3]

فدلَّ الإمامُ على سيميائيَّةِ الإسمِ والمُسمى بذاتيَّةِ شرحهِ الدلالِي المُتجسدِ في لغتهِ الرمزيَّة حولَ التسميةِ وفقًا لشرحهِ الحقيقي لمجازِ الفهمِ دلاليًا، ونصِلُ ممَّا تقدم إلى تحديدِ إنَّ دلالاتِ شعريَّة النثرِ الصُوفي عندَ الإمامِ« قُدِّسَ سِرُّهُ » في كتابَيْهِ دلاليًا، كانت ذاتَ صفاتٍ تأصيليَّة للبنى اللغويةِ نحويًا وصرْفيا وسياقيًا وكراماتيًا وإيضاحًا للمَبانِي ودلالاتِها والمعاني ودلالاتِها في توصِيفِ المعنى سيميائيًا مع تنبيهِهِم لمُشكلاتِ الدلالةِ الإصطلاحيَّة في إبْرازِ مكامنِ الخلاف الدلالي في عينِ المُصطلح الدلالي[4].

ممَّا يُبرزُ عند الباحثِ أهميَّة فهْم السياقِ الدلالِي لشعْريَّةِ النثر الصُوفِي وتطورهِ لفهم أنَّه كيفَ صاغَ الإمام« قُدِّسَ سِرُّهُ » توصيفَ فهمِهِ للفصوص وشذراتِهِ في المصْباح.

1 الخلاف الدلالي عند علماء العربية، لطيف عبد السادة سرحان، ط1، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2017،ص 23

2 ينظر: المنهل الاعذب في اخبار السيد ابراهيم الاعزب، السيد احمد عبد الكريم عبد الجبار النعيمي، ط1، دار محررو الكتب، بغداد، 2022، ص111

3 ينظر: تعليقات على شرح فُصوص الحِكَم، ص44

4 مصطلحات الدلالة العربية دراسة في ضوء علم اللغة الحديث، جاسم مُحَمَّد عبد العبود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007، ص 31

الخاتمة

1- تَبيَّنَ لنا مِن خِلالِ البحْث أنَّ شِعْريَّة النَّثرِ الصُوفي شكَّلتْ منهجًا ضابطاً، يرتكز على مطاردة الإشارة الصوفية، وكشف مساراتها، وتحولاتها، من خلال البرازخ النصية، والاتجاهات الموضوعاتية، لتقف على أسرار انسراب الموروث الصوفي في خطاب السيِّد الإمام قُدِّس سرُّه الشريف، وحركيته، واتجاهاته ودوره في تشكيل الرؤيا السيميائية الحديثة.

2- إنَّ الإشارة الصوفية تطوي في سياقاتها السيميائية الرمز الصوفي، وفي بنيتها المعرفية المصطلح الصوفي، حيث تتسم دلالة الإشارة الصوفية بالاتساع والشمول، والقدرة على النماء والتحول والتوالد؛ لأنها خلافا للرمز أو المصطلح مرتبطة بالقراءة الاستبطانية.

3- إنَّ التأويل السيميائي عند السيد الإمام قُدِّس سره الشريف فعلٌ مركبٌ بين أهليَّة القارئِ وأهليَّةِ النصِّ، ما يَضبِطُ انفتاح الأبعادِ الدلاليَّة للمرجعيَّة الصوفيَّة المُندرجَة في الفعلِ التدْليلي.

4- اعتماد السيد الإمام قُدِّس سره الشريف ذاتيَّة الاسْمِ والمُسمَّى في الخِطاب النثري الحديث، بوصفِهِ بنيَة كليَّة مولّدة لعددٍ غيرِ محصورٍ من النصُوصِ، فالخِطابُ بنية ذهنيَّة مُجردة، يُشكلُ النصُّ تَجْسيده الحقيقي.

5- الوظيفة السيميائية في الأدب شعرًا ونثرًا ورواية قصة رؤية سوسيولوجية تهدف إلى تحليل ودراسة بنى الخطاب الرمزي من ناحية والوظائف الَّتي تقوم بها هذه البنى ومن ناحية أخرى تحدد الوظيفة البنائيَّة بإدراك السيميائيات في بدايات النص ونهاياته وهو ما طبقه الإمام في كتابيه.

المصادر والمراجع

- الأصوات المذلقة في اللغة العربية، ولاء صادق محسن، ط1، الوقف السني، بغداد، 2019 .
- الأدب في التراث الصوفي، مُحَمَّد عبد المنعم خفاجي، مكتبة غريب، القاهرة، ص 167و ما بعدها، ويُنظر: د. عبد الرحمن بدوي، شهيدة الحُب الإلهي، مطبعة مصر، القاهرة.
- التَّعرُّف لِمَذْهَبِ أَهْلِ التُّصوُّف – ابو بكر الكلاباذي، تحقيق: محمود النَّوَادِي – مكتبة الكُلِيَّات الأَزْهريَّة – القَاهرة – 1400هـ/ 1980م
- السراب والنبع، مصلح النجار، ط1، المؤسسة العربية، بيروت، 2005،
- البحث الدلالي في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، احمد ابراهيم صاعد، ط1، الوقف السني، بغداد، 2012،
- تأسيس كِتَابَةٍ جَديدَةٍ، أدونيس، . مَجلَّة:مواقف المغربية، نوفمبر / ديسمبر 1971
- التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، محمود عكاشة، ط1. دار النشر للجامعات،، القاهرة 2005،
- التصوّف الإسلامي– مفهومه وتطوّره ومكانته من الدين والحياة، حسن عاصي، ط2، مؤسسة عزّ الدين، بيروت، 1994م،
- تعريف قصيدة النثر، إيمان الحياري، على الرابط:
- https//:mawdoo3.com%/D8%AA%D8%B9%D8%B1%D9%8A%D9%81%_D982%% D8%B5%D9%8A%D8%AF%D8%A9%_D8%A7%D9%84%D9%86%D8%AB%D8%B1
- التعريفات، الجرجاني، ط2، دار العلم، بيروت، 2011،
- تعليقات على شرح فُصوص الحِكَم لابن عربي،روح الله الخميني،دار المحجة البيضاء ودار الرسول الاكرم،الطبعة الأولى،1422هـ،2001م.
- الجِنْسُ الأَدَبِي بَيْنَ المَوْهِبَة الفَرديَّةِ وَالرَّافِدِ الغَرِبِي، مُحَمَّد ديب، مَجَلة: (عَلامَات) – ج12/ م3 – يونيو 1994.
- حزب البحر، أبو الهدى الصيادي، ط2، بيروت، 1905م، ص11.
- الخلاف الدلالي عند علماء العربية، لطيف عبد السادة سرحان، ط1، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2017.
- الدراسات اللغوية في العراق، عبد الجبار جعفر القزاز، ط1، دار الرشيد، بغداد، 1981.
- دلالة الاعراب لدى النحاة القدماء، بتول قاسم ناصر، ط1، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1999.
- الدلالة السياقية عند اللغويين، عواطف كنوش المصطفى، ط1، دار السياب، لندن، 2007.
- الدلالة اللغوية عند العرب، عبد الكريم مجاهد. ط1، دار الضياء، عمان، الأردن،. 2011
- الدلالة في لغة الصوفية، زينة جليل عبد، ط1، الوقف السني، بغداد، 2011 .
- الدلالة والسياق في العربية، سليمان مُحَمَّد، ط2، دار القلم، دمشق، 2011.

- الدلالة، مُحَمَّد عبد الله، ط2، دمشق، 2009.
- السياق واثره في توجيه الصيغ الصرفية، سماح ايمان بوروس، ط1، الجزائر، 2019.
- شعر عمر بن الفارض– دراسة في فنّ الشعر الصوفي– عاطف جودت نصر، ط1، الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، 1982م.
- شعرية النثر، عدنان كريم رجب، أ.م.دالجامعة المستنصرية ـ كلية الآداب وهديل علي كاظم جامعة واسط ـ كلية التربية، مجلة كلية التربية، بغداد، مجلد 1، عدد 32 ‘ 2018،
- طبقات الشعراني، الشعراني، ط2، بيروت، 2010.
- علم الدلالة العربي – النظرية والتطبيق، فايز الداية، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1996.
- علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، فريد عوض حيدر،ط1،القاهرة: مكتبة الآداب، 2005.
- علم الدلالة، احمد مختار عمر،ط2، الدار الجامعية بيروت، 2013.
- الفعل زمانه وابنيته، إبراهيم السامرائي، ط1، الرسالة، بيروت، .1980
- في الأدب الصوفي، نظمي عبد البديع، ط2، القاهرة.
- القصدية واثرها في توجيه الاحكام النحوية حتى نهاية القرن الرابع، د حيدر جاسم جابر الدنيناوي، ط1، دار الوضاح ودار دجلة، عمان، الاردن، 2016.
- لغة الشعر الصوفي، نظيم مُحَمَّد، ط2، دمشق، 2010.
- محاضرات في علم اللسان العام، دي سوسير، ترجمة مُحَمَّد القنيني، ط3، دار العلم، دمشق، 2011.
- المدخل إلى علم المعاجم والدلالة، احمد علي محمود ربيع، ط1 مكتبة الرشد، الرياض، 2007.
- مصباح الهداية الى الخلافة والولاية،روح الله الخميني، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات – بيروت لبنان، الطبعة: الاولى .2006
- مصطلحات الدلالة العربية دراسة في ضوء علم اللغة الحديث، جاسم مُحَمَّد عبد العبود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007.
- المنهل الاعذب في اخبار السيد ابراهيم الاعزب، السيد احمد عبد الكريم عبد الجبار النعيمي، ط1، دار محرري الكتب، بغداد، 2022.
- نظرية الحقول الدلالية في كتاب المخصص لابن سيده، رزاق الازيرجاوي، ط2، الينابيع، دمشق، 2010.